القواعد العامة في الرد على الإلحاد في ضوء القرآن والسنة

بحث مقدم
إلى المؤتمر العلمي الأول
تجديد العلوم العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة
المنعقدة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق
جامعة الأزهر ٢٠٢١/٣/٢٠
(الجزء الثالث)

إعـــداد
الدكتـــور
ناصر محمد السيد إسماعيل
الأستاذ المساعد بقسم الأديان والمذاهب
بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

ملخص البحث:

يستقرئ البحث القرآن الكريم والسنة النبوية للوصول إلى قواعد عامة في الرد على الإلحاد، وقد وقف البحث على قواعد منها: الثبات المبني على فهم المحاور لدوره في عملية الدفاع عن الدين، ودورُهُ هو البلاغ المبين، والرجاء الصادق للآخر أن يُوفق للهداية، وأن يتنزه عن الضغائن الشخصية. ثم الثقة، ونعني بها ثقة المحاور في دينه وعقيدته، وأنه يخاطب فطرة الله المركوزة في نفس الآخر. ومن ثمّ فهو يبني بحواره على قاعدة ثابتة في نفس الآخر، فمَن كان يتوقع زمن فرعون أن وراء هذا الصلف والكبر والعناد والجحود، والإنكار عهد فطري يدفعه لأن يشهد شهادة الحق وهو ينازع الموت! وتجنب الرد على كل سؤال يطرحه الإلحاد، وهذا مبني على أساس شرعي ومنطقي سليم، فحينما سأل الصحابة رسول الله ﷺ عما يجول بخاطرهم من تساؤلات يستعظمون الإفصاح عنها، فلم يستفصل منهم ﷺ عن هذه الأسئلة، ونصحهم بأن يستعيذ أحدهم بالله من الشيطان، وأن يقول آمنت بالله. وبالإضافة إلى ذلك فإن العقل الإنساني محدود المعرفة فيما يملك أدوات النظر والبحث فيه، فكيف يطمع في الإحاطة والمعرفة التي لا نملك أدواتها، أعني إحاطة المعرفة بالخالق سبحانه وتعالى.

ومن تلك القواعد مخاطبة الفطرة الإنسانية، والبناء على رصيدها الذي لا يملك أحد -كائنا من كان- أن يمحوها من الكيان البشري، وعلى التعريف بالخالق جل وعلا، وآثاره البادية في إبداع الكون والتكامل بين أجزاء الكون المختلفة، الدالة على وجود الله، ووحدانيته، واستحالة الصدفة في خلق الكون.

Summary

This research read up The Quran and the prophet sayings to lay down general roles for discussion with atheism. The research comes up with the following: emotional constancy, which depend on the understanding of his role in defending of Islam, his role is clear notifying, and Sincere hope in guiding the other, and to avoid the personal grudges. Then, confidence, which means to To be confident in his religion , this religion which communicates with the instinct faith which Allah put in all human being. So he will be sure that his seeds of faith once will bear fruit. Quran taught us that Pharaoh said 'when drowning overtook him': I believe that none has the right to be worshipped but Allah, and I am one of the Muslims! He can't hide the instinct faith at this critical moment. After that, the human being have a limited knowledge in every thing, how it comes to compass every thing of the Almighty?! When the accompanies of the prophet

ask him about the bad ideas which relate to the natural of the creator, he didn't ask him to give details, he just advice him to ask protection of Allah, and to say: we believe in Allah. Beside that Islam teach human being who is the creator, holly names, his attributes, which no way to know it but by him. Finally Quran and the prophet's saying take our eyes to see the Absolute creativity integration between the parts of the universe despite their differences, which testify that there is god, and there is no god but him.

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه، وبعد:

مع تنامي الفكر الإلحادي في مجتمعاتنا الإسلامية، هبّ جند الإسلام من كل حدب وصوب لمواجهته، والنظر في أسبابه، وأخطاره، ومناهج مواجهته، وحماية المجتمع المسلم -بكل طوائفه- من أخطاره.

وكان من الملامح السلبية التي رصدها الباحث في مناهج الرد على الإلحاد؛ محاولة الرد على كل سؤال واستشكال يثيره الفكر الإلحادي وممثلوه.

ويصل الأمر -نتيجة لهذا- إلى أن يظهر الدفاع عن العقيدة في صورة التهافت، والذي قد يثبت مزاعم الإلحاد في أذهان المتأثرين به.

والفكرة التي يطرحها هذا البحث هي:

"القواعد العامة في الرد على الإلحاد في ضوء القرآن والسنة"

ولا ريب أن منهجية القرآن والسنة هي الأقوم والأفعل في مواجهة الفكر الإلحادي، وأهم ما تتميز به هذه المنهجية:

أولا: تجنب الرد على كل سؤال يطرحه الإلحاد: إن العقل الإنساني محدود المعرفة، ليس فقط فيما يتعلق بالعقيدة والخالق وأمور الغيب، بل في العلوم المعملية كالطب والكيمياء والفيزياء والرياضيات والصيدلة والجيولوجيا والفلك، وعوالم البحار والنبات والجمادات، وغيرها من العلوم، لم يُحط الإنسان بها علما، بل يقف عاجزا أمام الكثير من مضامين هذه العلوم.

والاستنتاج المنطقي من هذا أننا لسنا مطالبين بالرد على كل تساؤلات الإلحاد؛ لأننا لا نملكها، كما لا نملك القدرة على الرد على كل تساؤلات العلوم الأخرى، والتي نملك أحدث الأدوات للنظر والإبداع فيها، فكيف نطمع بالوصول إلى المعرفة التي لا نملك أدواتها، ولم نُهيأ للنظر فيها، أعني المعرفة بالخالق سبحانه وتعالى.

إن الإسلام يوقف الإنسان عند حده، ويُعلمه بأن له مطلق الحرية في النظر والملاحظة في نفسه والكون، وأن كل مجالات الحياة متاحة له على مصراعيها.

ولكنه ممنوع من النظر والتفكر في الخالق، ليس حجرا ولا تضييقا عليه، ولكن لأنه لا يملك أدوات النظر في هذا الباب، إنه منعٌ من إهدار طاقة الفكر البشري فيما لا يقدر عليه.

ثانيا: تقوم فكرة البحث على هذه المسألة المنطقية البدهية التي لا يماري فيها عاقل، كما يقوم على الاعتراف بما يمكن أن يجول في النفس والخاطر من أسئلة الإلحاد، وهو إزاحة لعبء كبير عن كاهل النفس الإنسانية، فإن كثيرا من الضغط النفسي والانحراف الفكري، والذي يتبعه الانحراف السلوكي، يقوم على الإحساس بالذنب لما يجول في النفس من أسئلة تعاند الفطر الإنسانية وتحادها.

ثالثا: كما تقوم فكرة البحث على الإشارة إلى منهجية القرآن والسنة في مخاطبة الفطرة الإنسانية، والبناء على رصيدها الذي لا يملك أحد -كائنا من كان- أن يمحوها من الكيان البشري.

رابعا: تقوم فكرة البحث كذلك على منهجية القرآن والسنة في توجيه النظر والفكر إلى مخلوقات الله الدالة على وجوده، ووحدانيته، واستحالة

الصدفة في إيجاد مثل هذا الصنع، الذي هو فوق إمكانات التخيل البشري.

خامسا: التعريف بالخالق سبحانه وتعالى.

وغير ذلك يأتي بيانه بالتفصيل في ثنايا البحث. أسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأن أضرب لنفسي بسهم في هذا المضمار الشريف، في مضمار الحجاج عن دين الله تعالى، وبيان نجاعة المنهج الإسلامي في الحوار مع الإلحاد. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث من خلال النقاط التالية:

١-محاولة الحد من تنامي الفكر الإلحادي، واستخدامه منصات التواصل الاجتماعي للوصول إلى أكبر عدد من الناس.

٢-بيان وجه القصور في أداء بعض ممثلي الإسلام في الحوار مع الإلحاد.

٢-إسهامه في الحد من الآثار الوخيمة للإلحاد على الفرد والمجتمع.

٣-الرد على منهج الإلحاد القائم على تلبيس الحق بالباطل.

تساؤلات البحث:

ما القواعد العامة لمنهجية القرآن والسنة في مواجهة الإلحاد؟

منهج البحث:

يستنير الباحث بمنهج البحث الاستقرائي والاستنباطي.

الدراسات السابقة:

توجد كتابات كثيرة عن الحوار والجدل مع الإلحاد، وعن تعريف الإلحاد، وبيان أسسه وآثاره ومخاطره، ولكن لم أقف على دراسة عُنيت ببيان القواعد العامة لمنهج القرآن والسنة في مواجهة الإلحاد.

التمهيد:

يحسن بنا أن نقف على تعريف القواعد، وتعريف الإلحاد، فإن تحديد المفاهيم يعين على فهم المراد.

تعريف القواعد لغة: "القاف والعين والدال أصل مطرد منقاس ... يقال: قَعَد الرَّجلُ يقعُد قعوداً. والقَعْدة: المرَّة الواحدة. والقِعدة: الحالُ حسنةً أو قبيحة في القعود ... وقَعِيدة الرَّجُل: امرأتُه... وذو القعدة: سمى بذلك لأن العرب كانت تقعد فيه عن الأسفار ... وقواعد البيت أساسه"(١)، ومنه جاءت تسمية القاعدة، حيث إنها الأساس الذي ينبني عليه فروع كثيرة.

تعريف القواعد اصطلاحا: القاعدة: قضية كلية منطبقة على جميع أجزائها"(٢).

والمراد بالقواعد هنا الركائز والأسس العامة التي انتهجها القرآن والسنة في الحوار مع الكفر عامة والإلحاد بصفة خاصة.

تعريف الإلحاد لغة:

اللام والحاء والدال أصل يدل على ميلٍ عن استقامة. يقال: ألْحَد الرّجلُ، إذ مال عن طريقة

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس، ٩١/٥، تحقيق: عبد السلام هارون، دط، اتحاد العرب: بيروت، ١٤٢٣هن ٢٠٠٢م.

(٢) التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي ، ص١٧١، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

الحق والإيمان. وسُمّي اللّحدُ لأنّه مائل في أحد جانِبَي الجَدَثِ. يُقال: لحَدْت الميِّتَ وألحدتُ.

والمُلْتَحَد: الملجأ، سُمي بذلك لأن اللاجئ يميل إليه"(١). و"ألحد في دين الله: مال عنه وعَدَلَ، ولَحَدَ لغة فيه"(٢).

والإلحاد اصطلاحا: "نفي الصانع عز وجل"(٣)، وهو المراد هنا، كما أنه المراد عند إطلاق مصطلح الإلحاد، ويُعرف في المعاجم الأجنبية بأنه: رفض الإيمان بإله أو بآلهة"(٤).

ويعرفه قاموس "وبستر" بأنه:

١-قلة الإيمان، أو عدم الإيمان مطلقا بإله أو بآلهة.

٢-موقف فلسفي أو ديني يتسم بالكفر بوجود إله أو آلهة"

ويطلق الإلحاد قديما على السلوك المتشدد، وعلى الشر"(٥).

معنى الإلحاد في القرآن الكريم:

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس، ١٩٠/٥.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، إسماعيل بن حماد ٥٣٤/٢، تحقيق: أحمد عطار، ط٤، دار العلم للملايين: بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري ٣٥٩٥/٦، تحقيق: حسين العمري وزميليه، ط١، دار الفكر: بيروت، دمشق، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

(٤) https://www.thefreedictionary.com/atheism

(٥) https://www.merriam-webster.com/dictionary/atheism

وردت كلمة إلحاد ومشتقاتها في القرآن الكريم في الآيات التالية:

١- (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ الحج) [١].

٢- (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ الأعراف) [٢].

٣- (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) [٣].

٤- (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [٤].

٥-(وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا)[٥].

٦- (قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) [٦].

وخلاصة معانيها: الميل عن الحق، التكذيب، الشرك، الكفر، التحوير، المعاندة، المكاء والتصدية، المهرب، الملجأ، المعدِل، الولي، المذهب والمسلك"[٧].

---

(١) سورة الحج: ٢٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٣) سورة النحل: ١٠٣.

(٤) سورة فصلت: ٤٠.

(٥) سورة الكهف: ٢٧.

(٦) سورة الجن: ٢٢.

(٧) انظر: النكت والعيون للماوردي، علي بن محمد بن محمد ١٦/٤، ٢٨٢/٢، ٢١٥/٣، ١٨٤/٥، ٣٠١/٣، ١٢١/٦، تحقيق: السيد عبد المقصود، دط، دار الكتب العلمية: بيروت، دت.

الْفرق بَين الْكفْر والإلحاد:

هناك فرق لغوي بين الكفر والإلحاد، ف"يطلق الكفر على ضروب من الذنوب، منها الشرك بالله، ومنها الجحْد للنبوة، ومنها استحلال ما حرم الله، وهو راجح إلى جحد النبوة... وأصله التغطية. والإلحاد اسم خُصّ به اعتقاد نفي التقديم[١] مع إظهار الإسلام ... وأصل الإلحاد الميل، ومنه سُمي اللحد؛ لأنه يُحفر في جانب القبر"[٢].

المعنى الجزئي للإلحاد في القرآن الكريم:

في القرآن الكريم آيات تتحدث عن أولئك الذين ينكرون اليوم الآخر، ويعتقدون أن الحياة الدنيا نهاية المطاف، وهو معنى الإلحاد اصطلاحا، غير أن ذلك يأتي في معرض الحديث عن المشركين الذين كانوا يعتقدون وجود الله تعالى وإن عبدوا غيره، ومن تلك الآيات:

١- (وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)[٣].

٢- (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ)[٤].

---

(١) المقصود –والله أعلم– نفي تقديم الإسلام على غيره من الأديان، مع إظهار الإيمان به.

(٢) الفروق اللغوية، العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل ٢٢٨/١، تحقيق: محمد سليم، دط، دار العلم والثقافة: القاهرة، دت.

(٣) سورة الأنعام: ٢٩.

(٤) سورة المؤمنون: ٣٥: ٣٨.

٣- (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[1].

وهو ليس المعنى الاصطلاحي الشائع للإلحاد، فالإلحاد يُطلق على أولئك الذين يُنكرون الخالق، ويزعمون أن مادة الكون تسير نحو تخليق الأشياء سيرا ذاتيا مصادفة.

---

(١) سورة الدخان: ٣٤: ٣٩.

المبحث الأول

القاعدة الأولى: الثبات

وهو ثبات مبني على فهم المحاور المسلم لدوره وحدوده في الدفاع عن دين الله تعالى.

لقد وجه الله تعالى نبيه ﷺ في جداله للآخر، فقال تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) (١).

عن مجاهد في تفسير هذه الآية: "إن قالوا شرا، فقولوا خيرا"(٢).

إن قدرة المحاور المسلم على استيعاب الملحد وغيره، حتى يرد السيئة بالحسنة، والشر بالخير يقوم على قوة نفسية، تبني على الفهم الواعي بالرسالة، ودور الداعي في إبلاغها للناس.

والملاحظ أن كثيرين ممن ينتصبون للحوار مع الملحدين، يفقدون أعصابهم عند الحوار، نظرا لبرودة الآخر، ولشدة غيرة المحاور المسلم على دينه.

إن رب العالمين سبحانه يعلمنا من خلال نبيه ﷺ أنه ينبغي أن يعلم الداعي إلى الله تعالى أن مهمته هي البلاغ المبين، وأما النتائج والهداية فهي لله تعالى، الذي بيده أزمة القلوب، يقول تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)(٣). ويقول تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ

---

(١) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٢) تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر، ص٥٣٥، تحقيق: محمد أبو النيل، ط١، دار الفكر: مصر، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

(٣) سورة المائدة: ٩٢.

دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) [(١)]. ويقول عز من قائل: (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) [(٢)].

وقال تعالى: (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)[(٣)].

ويقول تعالى: (وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) [(٤)].

وتلك سنة الله تعالى في جميع أنبيائه ورسله، يقول تعالى على لسان رُسل آل ياسين: (قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)[(٥)].

وقال تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)[(٦)]، وقال تعالى: (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)[(٧)]، وقال تعالى: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا)[(٨)]. وقال تعالى: (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ

---

(١) سورة النحل: ٣٥.

(٢) سورة النحل: ٨٢.

(٣) سورة النور: ٥٤.

(٤) سورة العنكبوت: ١٨.

(٥) سورة يس: ١٦، ١٧.

(٦) سورة البقرة: ٢٧٢.

(٧) سورة الرعد: ٤٠.

(٨) سورة الكهف: ٦.

نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ)(١)، وقال تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا)(٢).

وفي الآيات: "معاتبة من الله عزّ ذكره للنبي ﷺ على وجده بمباعدةِ قومه إياه فيما دعاهم إليه من الإيمان بالله، والبراءة من الآلهة والأنداد، وكان بهم رحيما"(٣)، وهو رحمة من الله بنبيه ﷺ، ورفع لعبء الإحساس بمسؤولية الهداية، ورد ذلك إلى الله تعالى الذي بيده أزمّة القلوب، كما أنه كذلك تعليم للأمة أن تبذل الوُسع، وتدع أمر الهداية لرب العالمين.

إن مهمة الرسول أن يبلغ "ما أمره الله تعالى به من الرسالة، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء"(٤)، "فإن توليتم وأعرضتم عن الطاعة، فاعلموا أنما على رسولنا أن يبين لكم ديننا وشرعنا، وقد بلغه وأبانه وقرن حكمه بأحكامه، وعلينا نحن الحساب والعقاب، وسترونه في إبانه"(٥).

---

(١) سورة الشعراء: ٤.

(٢) سورة الشورى: ٤٨.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، ١٥/ ١٥٠، ط١، دار هجر: القاهرة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، ٦/٢٧٠، تحقيق: سامي سلامة، ط٢، دار طيبة: القاهرة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

(٥) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، ٧/٥٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٩٠م.

ومن البلاغ المبين أن يفهم طبائع الناس، وأن ينظر في القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ ليقف على أحوال المدعوين وموقفهم من أنبياء الله ورسله، ومن الدعوة إلى الله تعالى؛ فإن في ذلك زادا له.

هذا الفهم يزيل عبئا كبيرا عن كاهل الداعية، ويضع حدودا ضابطة لانفعالاته.

وينبغي أن يقف وراء مقتضيات البلاغ المبين نية خالصة، وقلب مطمئن، ورجاء صادق في أن يهدي الله تعالى به، وأن يكون حرصه على الآخر أعمق وأقوى من الرغبة في إفحامه وإسكاته.

كما أنه يُنزه المحاور المسلم عن حمل الضغائن الشخصية لهؤلاء، فإن النبي ﷺ قال بكل أريحية لأهل مكة: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"(١)، وقد كانوا تحت حد السيف، وهم الذين عذبوه وأصحابه وأخرجوه قهرا من أحب بلاد الله إلى الله وإليه! ومن قبل قال يوسف عليه السلام لإخوته الذي ألقوه في جوف بئر وشردوه في البلاد: "لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"(٢)، وأقوى صور التجرد للدعوة، والبعد عن شخصنة الخلاف مع الآخر قصة إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ"(٣)، فانظر إلى عنف التبرؤ من الشرك وأهله، ثم زواله حين يؤمنوا بالله وحده، هكذا شأن المحاور المسلم؛ يحاور بغيرة وشغف وحرص وحب عن دين الله، ولا يحمله ذلك على ضغينة شخصية، أو وقيعة في عرض الآخر.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب السير، جماع أبواب السير، باب فتح مكة حرسها الله، حديث رقم ١٨٣٤٣.

(٢) سورة يوسف: ٩٢.

(٣) سورة الممتحنة: ٤.

المبحث الثاني

القاعدة الثانية: الثقة في المنهج

إن ثقة المحاور المسلم تقوم على يقينه أنه (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)[١]، وأن الله تعالى فطر الناس على المعرفة به.

يقول تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)[٢].

وعن أَنَسٍ -يَرْفَعُهُ-: إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ"[٣].

"فهذا الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم فمن وفى به بعد وجوده في الدنيا؛ فهو مؤمن، ومن لم يوف به فهو الكافر، فمراد الحديث أردت منك حين أخذت الميثاق فأبيت إذ أخرجتك إلى الدنيا إلا الشرك"[٤].

---

(١) سورة الشورى: ٤٨.

(٢) سورة الأنعام: ١٧٢: ١٧٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، حديث رقم ٣٣٣٤.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن حجر، ١١/٤٠٣، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، عبد العزيز بن باز، دط، دار المعرفة: بيروت، ١٣٧٩هـ.

فيكون المحاور المسلم على يقين من أنه يبني من خلال كلامه على قاعدة ثابتة في نفس الآخر، وأن ما يحول بينه وبين الإقرار بالحق مثلُ الذي حال بين أبي طالب وقبول الحق، أو كمثل الذي حال بين أبي جهل وبين قبول الحق.

ومثل ما حال بين مدعي الألوهية فرعون وبين قبول الحق، (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)(١).

فمن كان يظن أن فرعون الذي كان يقول: (يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)(٢)، ويقول: (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) (٣)، يعلن إقراره بأنه لا إله إلا الذين آمنت به بنو إسرائيل، وأنه من المسلمين؟! مَن كان يتوقع زمن فرعون أن وراء هذا الصلف والكبر والعناد والجحود، والإنكار عهد فطري، إلى جانب هدايات الرسالة التي جاء بها موسى وهارون عليهما السلام؟!

ولاحظ أن موسى عليه السلام خاطب فرعون قائلا: (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ)(٤)، "أي حججا واضحة، وذلك يدل على أن قول فرعون (فمن ربكما يا موسى) وقوله: (وما رب العالمين) كل ذلك منه تجاهلُ عارف، وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى مبينا سبب جحوده وَأَدْخِلْ

---

(١) سورة يونس: ٩٠.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن حجر، ٤٠٣/١١، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، عبد العزيز بن باز، دط، دار المعرفة: بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٣) سورة النازعات: ٢٤.

(٤) سورة الإسراء: ١٠٢.

يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا"(١).

فقد كان يعلم بفطرته التي فطره الله عليها، وبالحجج والأدلة التي أتى بها موسى أن الله رب السموات والأرض، ولكنه عاند وكابر ظلما وعلوا، حتى إذا انقطعت به السبل، أقَرَّ حيث لا ينفع نفسا إيمانها.

والله تعالى يكشف لنا عن هذا المنهج عند المكذبين المعاندين، فيقول تعالى: (بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)(٢).

فسيسألون سؤال المنكر المتعجب (وَمَا الرَّحْمَنُ)(٣)، (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ)(٤)، كما سأل فرعون وقوم شعيب من قبل: (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)(٥)، (يَاشُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار ١٨٨/٣، دط، دار الفكر: بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

(٢) سورة الأنعام: ٢٨، ٢٩.

(٣) سورة الفرقان: ٦٠.

(٤) سورة الشعراء: ٢٣.

(٥) سورة الشعراء: ٢٣.

أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) [١]، سيستفهمون (استفهام من يجهله وهم عالمون به)[٢].

هذه حقيقة ينبغي أن يستحضرها المحاور وهو يناقش هؤلاء القوم، فهم كمن سبقهم من المنكرين، ومهمة المحاور أن يبلغ البلاغ المبين، مستعينا بالله تعالى، مستحضرا الحجج والأدلة، موقنا بأنه بداخل هذه الكيانات الضالة -على الأقل- قاعدة الفطرة تلتقط -رغم أنف الجحود والإنكار- إشارة الحق وحججه وأدلته.

وعليه كذلك أن يوقن بأنه لا سند للإلحاد، وأنه مجافاة للفطرة، وسباحة ضد تيارها الهادر، وأنه نتيجة للتدين الفاسد، أو الاتجار بالدين.

ولقد كان ظهور الشيوعية في الاتحاد السوفيتي بسبب إجرام الإقطاع في أوروبا وممالأة رجال الدين له، فقامت الشيوعية على إنكار الخالق، والزعم بأن الدين أفيون الشعوب، ونزع الملكية الفردية التي كانت صورة من صور طغيان الإنسان على أخيه الإنسان، والإسلام بريء من هذه اللوثات، بما فيه من عقيدة صحيحة، ونظام اقتصادي منزه عن الفردية المستبدة، أو الجماعية المهلكة لغرائز الفرد.

---

(١) سورة هود: ٨٧.

(٢) تفسير البحر المحيط، أبو حيان، محمد بن يوسف ٦/٤٦٦، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

المبحث الثالث

القاعدة الثالثة: عدمُ الرد على كل سؤال منهجٌ نبوي

يجب أن يُواجه الإلحاد بحزمة من الإجراءات التربوية[١]، التي ينبغي أن تضطلع بها الجهات المسؤولة على مستوى المجتمع، ويقوم بها ولاة الأمر في البيوت على مستوى الأسرة، كما ينبغي على كل إنسان أن يُحافظ على إيمانه، من خلال التأكد من فعالية هذه الإجراءات التربوية في حياته.

والسؤال الذين يُطرح لمناقشة هذه القاعدة: هل نحن مطالبون بالإجابة عن كل سؤال يثيره الملحدون؟

إنني أرى أن من صور الخطر في مواجهة الإلحاد؛ محاولة الرد على كل استفسار يثيره الملحدون، في الوقت الذي نُهمل فيه إجراءات المواجهة الأخرى.

ونريد أن نقف هنا وقفة تأمل مع هذا الخلل الكبير الذي يقع فيه كثير ممن يتعرض لمواجهة الفكر الإلحادي والملحدين.

ودعنا ننتقل إلى ميادين العلم المعملي -بله النظري- هل نملك القدرة على الرد على جميع التساؤلات في الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء؟ هل نملك القدرة على معالجة جميع الأمراض؟ هل استطاع العالم أن يُحل مشاكله السياسية والاقتصادية والاجتماعية؟ هل قضى العالم بكل ما يملكه من قوة على الجريمة وأسبابها؟

---

(١) أعني بذلك التربية الإيمانية منذ نعومة الأظفار، بتحفيظ القرآن الكريم تحفيظا متضمنا تعظيم الخالق الآمر الناهي سبحانه وتعالى، وأداء العبادات، وتعظيم شعائر الله، والاستقامة على أخلاق الإسلام. كل هذا معونة للفطرة السليمة، حتى تنتعش وتقوى في مواجهة شبهات الإلحاد.

إن لدينا أحدث وسائل الاستطلاع من مجاهر وصواريخ ومركبات فضاء، يقف وراءها ترسانة هائلة من الإمكانات العلمية والتكنولوجية والبشرية؛ وكل هذا لا يُعدّ شيئا في فضاء العالم الذي لا يعلم منتهاه إلا خالقه، ونخطو نحو التقدم في هاتيك المجالات خطوات، نسرف على أنفسنا حين نسميها محدودة.

إن العالم كله يقف مكتوف الأيدي منذ أكثر من عام أمام فيروس، شلّ حركة الحياة في الكون، وأعجز القادرين، وأصاب الملوك والرؤساء قبل عوام الناس!

بل إن معرفتنا بما وصلنا إليه -مما نملك أدوات النظر فيه- منقوصة أشد النقص، فنحن نعرف فقط كيف تحدث الأشياء على ما هي عليه، ولا نعرف لماذا تحدث الأشياء على هذا النحو.

"نرانا نفكر، ولكن ما هو الفكر؟ لا يستطيع أحد أن يجيب على هذا السؤال، ونرانا نمشى، ولكن ما هو العمل العضلي؟ لا يعرف أحد ذلك .. أرى أن إرادتي قوة غير مادية، وأن جميع خصائص نفسى غير مادية أيضًا .. ومع ذلك فمتى أردت أن أرفع ذراعي، أرى أن إرادتي تحرك مادتي، فكيف يحدث ذلك؟ وما هو الوسيط الذي يتوسط للقوى العقلية في إنتاج نتيجة مادية؟ يوجد من يستطيع أن يجيبني عن هذا أيضًا؟ بل قل لي: كيف ينقل العصب البصري صور الأشياء على العقل؟ وقل لي: كيف يدرك العقل هذا؟ وأين مستقره؟ وما هي طبيعة العمل المخي؟ قولوا لي أيها السادة (يريد الملحدين) .. ولكن كفى كفى! فإني أستطيع أن أسألكم عشر سنين، ولا يستطيع أكبر رأس فيكم أن يجيب على أحقر أسئلتي"[1].

---

(١) العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص٣٨، دط، دار الكتاب العربي: بيروت، دت.

إن عجز الإنسان حتى اليوم عن تفسير سر الحياة، وسر الموت، وعدم قدرته – رغم حرصه وسعيه واحتراقه في هذا السعي– على زيادة العمر، ودفع الموت؛ لا تفسير له إلا الإيمان بالخالق المبدع، الذي يتجلى لخلقه في الخلق كل لحظة، والإماتة كل لحظة، ولا يملك الإنسان في كل هذا إلا أن يُشاهد، ويفسر – فقط– كيف تحدث الأشياء، بل يعجز والله كثيرا عن هذا، أما لماذا تحدث الأشياء؛ فهذا أمر فوق إمكاناته حتى اللحظة.

فإذا كان هذا العالم بميراثه الضخم من العلم، وأدواته وإمكاناته الهائلة عاجزا عن إدراك جرمه الصغير، فضلا عن مجاهيل الكون من حوله، أفيطمع في الإحاطة بالخالق؟!

إذا كنا لما يزل لدينا مجاهيل في هذا الكائن البشري نفسا وبدنا، فأنطمع أن نحيط بالله علما؛ فنجيب عن كل سؤال يَهِم به الملحدون؟!

إن الإعراض عن تلك الأسئلة، وعدم مجاراة أصحابها، والاستعاذة بالله تعالى واللجوء إليه عندها توجيهاتٌ شرعية، وهي ناجعة عند من سلمت فطرته، واستقام نظره العقلي، وصح منطِقُهُ في الاستدلال.

النبي ﷺ يعلمنا التوقف عن البحث في ذات الله:

في الحديث عَنْ سَالِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللهِ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللهِ"[١].

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب ٦/٢٥٠، حديث رقم ٦٣١٩، تحقيق: طارق عوض الله، عبد المحسن الحسيني، دط، دار الحرمين: القاهرة، دت. وحسنه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها،

يفتح الإسلام أبواب البحث المعرفي على مصراعيها أمام العقل البشري، ويستحثه للتدبر والتفكر والسير في الأرض، والبحث عن كيف بدء الله الخلق، وهذه وحدها إحدى معجزات بناء العقل في الإسلام.

يقول الله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١).

انظر إلى هذا التكليف الإلهي الهائل! إن الله تعالى يأمر بالسير في الأرض للوقوف على كيف بدأ الله الخلق، وكيف يُنشئ النشأة الآخرة، فبالله قل لي: أي دين، وأي فكر، دعا إلى هذا، وكلف هذا التكليف الهائل الرهيب.

وهل يمكن معرفة هذا بمجرد التأمل والنظر، أم أن هذا يستتبع علوما كعلوم الجيولوجيا، وعلوم الطاقة؟

يقول القزويني في تفسير قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) (٢): "وليس المراد من النظر تقليب الحدقة نحوها؛ فإن البهائم تشارك الإنسان فيه ... والمراد من هذا النظر التفكر في المعقولات والنظر في المحسوسات، والبحث عن حكمتها وتصاريفها ليظهر له حقائقها ... والفكر في المعقولات لا يتأتى إلا لمن له خبرة بالعلوم والرياضيات بعد تحسين الأخلاق وتهذيب النفس؛ فعند ذلك ينفتح له عين البصيرة" (٣).

٤/٣٩٧، حديث رقم ١٧٨٨، ط١، مكتبة المعارف: الرياض، ١٤١٥: ١٤٢٢/ ١٩٩٥/٢٠٠٢م.

(١) سورة العنكبوت: ٢٠.

(٢) سورة ق: ٦.

(٣) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، ص٣، ٤، ط٥، مكتبة مصطفى الحلبي: القاهرة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٠م.

إن المخاطبين الأُول بهذا النص الشريف لم تكن لديهم العلوم التي تمكنهم من هذا، والله تعالى لا يكلف بما فوق الوسع والطاقة، فلا بد أنهم مخاطبون بأمر آخر، وهو أن يستدلوا بآيات الله وآلائه في الإنسان والحيوان والنبات على الخالق وقدرته في الإيجاد، وهي بنفسها دالة على قدرته في الإعادة (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[1]، هذه آية قرآنية، وهي دليل عقلي، فالذي بدأ على غير مثال سابق؛ قادر على الإعادة.

ويظل الخطاب والتكليف الإلهي قائما للأمة الإسلامية، لتدلل على كيف بدأ الله الخلق، وكيف يُنشئ الله النشأة الآخرة عن طريق المنهج التجريبي، بعد أن وقفت على ذلك من خلال المنهج الاستدلالي.

إن الله تعالى يفتح أبواب الكون على رحابها للنظر العقلي، يقول تعالى: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)[2].

ومع هذا السماح المطلق للعقل للبحث في النفس وفي الكون وأسرارهما؛ إلا أن الله تعالى يمنعه من البحث عن ذات الله تعالى.

وهو ليس تضييقا ولا حجرا على العقل البشري، ولا هو انتقاص من ملكاته وقدراته، إنما هو احترام لإمكانات العقل البشري، ورحمة من الله تعالى به، حتى لا يهيم على وجهه في ميدان لا يملك أدوات النظر فيه، ولن يعود منه بطائل.

---

(١) سورة الروم: ٢٧.

(٢) الذاريات ٢٠، ٢١.

خالق الكون هو مصدر تعريفنا بذاته:

عرفنا القرآن والسنة أن الله تعالى نهانا عن البحث عن ذاته، فقد سبق معنا الحديث الشريف الذي يبين فيه النبي ﷺ مجالات البحث المسموح بها للعقل الإنساني، وتلك التي نُهي عنها.

ويقول الله تعالى: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)[١].

ويقول تعالى: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) [٢].

وفي المسند عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا"[٣].

إننا نعرف شيئا من أسمائه سبحانه، ولا نعرفها كلها! ويقينا نعرف شيئا من صفاته سبحانه ولا نعرفها كلها، ولا نعرف شيئا عنه سبحانه إلا منه، فإنه لا

---

(١) سورة طه: ١١٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٣) مسند أحمد، حديث رقم ٣٧١٢، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م. وصححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ١/٣٨٣، حديث رقم ١٩٩.

سبيل إلى معرفة الله إلا بالله، عن طريق وحيه إلى رسله، وليس هناك سبيل آخر للمعرفة به سبحانه، دلّ على ذلك تاريخ الإنسانية الغارق في خبط العشواء، والأوهام والخيالات، التي لم تقنع العقول، ولم تشبع الأرواح، وأعني بذلك الفكر الفلسفي العاري عن هداية السماء.

ويدل لذلك أيضا -كما سلف- قصور الإنسان وعجزه عن إدراك ذاته والكون من حوله، فلا يُتصور له أن يُدرك المصدر الذي صدر عنه الوجود.

وفي المقابل -في نطاق الأديان- فإن الله تعالى قد عرفنا على ذاته، وهذه المعرفة محدودة بالقدر الذي يستوعبه البشر، وبالقدر الذي يوقفنا على جلاله وجماله وكماله سبحانه.

يدل على ذلك الشرع والعقل والواقع والبداهة.

أما الشرع فظاهر، وأما العقل والواقع والبداهة؛ فإن تاريخ الفلسفة في البحث عن الخالق يعج بنظريات يمكن تلخيصها فيما يلي:

الأولى: أن كافة المكوَّنات خلقها خالق أزلي قادر حكيم مطلق، وهذا مذهب الإلهيين والروحيين... وهو الرأي الملائم للقواعد الدينية في مبحث التكوين، ملائم كذلك لمشاهدات الإنسان، وتأملاته، وما ألفه من الإدراكات الوجدانية الحاثة على البحث عن مؤثر لكل أثر.

الثانية: نظرية الملحدين أو الماديين، ويقول أصحابها إن المكوَّنات منتشرة منذ الأزل في الفضاء، وإن المادة والقوة أو الجوهر الأصلي الذي يجمعهما في نفسه، ويتعذر إدراك أصله وماهيته، قد وصل إلى ما وصل إليه الآن بتأثير الحركة الدَّفعية المتمادية، وكانت النتيجة امتزاج الأجزاء الفردية وتشكلها على النحو الذي نراه الآن، فهؤلاء ينكرون الخالق، وهم بتفكيرهم هذا يعتقدون أن عقولهم

التي يفتخرون بها، ليست إلا أثرا لامتزاج مادة غير مدركة وتركبها بقوة غير عاقلة امتزاجا مبنيا على الصدفة فحسب! وهم مع هذا يعجزون عن بيان حقيقة المادة والقوة، أو الجوهر الأصلي الذي يجمعهما، كما يعجزون عن إيضاح ماهية السكون والحركة، ويقيمون نظرياتهم على فرضيات عندية ابتدائية، وحيث يؤمن أهل الدين بالخالق المتعال، ويجمعون كافة ما يشعرون به إزاء الخلقة من الحيرة في حكمته؛ نرى الماديين يهيمون في الموهومات، ويضربون في مهامه الجهالات. **الثالث**: مذهب الروحيين ومذهب الوجوديين الذي يعتقدون أن كافة الموجودات عبارة عن تجليات كل مطلق"(١).

إن توقف العقل عن البحث في هذا الميدان، وتوجيه النظر فيما هُيئ له هذا العقل؛ هو مقتضى الحكمة، فلماذا يُهدر الإنسان طاقته فيما كُفيه، وفيما دلّت التجربة على أن آلاف السنين من نظر الفلاسفة لم تأت بطائل، وما جاءت به موافقا للدين الحق فهو منقوص مشوه، أعني التصور الوثني للإله، والهندوسية أصدق مثال لهذا التصور الوثني.

الضعف أحد معابر الإلحاد إلى المجتمعات:

لعل سائلا يسأل: ما مناسبة هذا العنوان للحديث عن الإلحاد؟ وأقول: إن الله تعالى أمرنا بالأخذ بأسباب القوة (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ

---

(١) انظر: الدين والعلم، أحمد عزت باشا، ص١٢، ١٣، ترجمة: حمزة طاهر، عبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر: القاهرة، ١٣٦٧هـ، ١٩٤٨م.

الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)(١).

وإنما يظهر هؤلاء الذي من دونهم في فترات الضعف، كما يظهر المرض على البدن المتهالك، وتاريخ الإنسانية كله شاهد على أن الضعيف مطية لكل راكب، لا حرمة تُصان، ولا عهد يُذمم، ولا فكر يُحترم، ولا عقيدة تُقدّس.

وفي المقابل مَن يجرؤ على انتقاد القوى الكبرى في تدميرها للشعوب، وإفسادها للأخلاق، وانتهابها للثروات؟ وإن انتقدَ منتقدٌ؛ فما تغني الحناجر الضعيفة عن ظلم الظالم شيئا.

وأنا لا أقول -حاشا لله- باستخدام القوة أو الاعتداء على سائل أو مناقش أو طالب معرفة، وإن كان مخالفا، فهذا مخالف لمنهج الإسلام في المجادلة بالتي هي أحسن.

وإنما نشعر بمرارة ضعفنا وعجزنا وقلة حيلتنا حين يتحول الأمر إلى استهانة بالدين، ومجاراة لأهواء قوم لا فقه ولا علم لهم بما يقولون، ويصبح الاجتراء على الدين وسيلة للشهرة واكتساب الدنيا، بل إن كثيرين منهم يمولون لإفقاد الدين هيبته في نفوس أبنائه.

وعندئذ نقول: أين عراجين عمر وحصباء أبي هريرة رضي الله عنهما.

الفاروق وأبو هريرة رضي الله عنهما في مواجهة أسئلة الإلحاد:

عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ أَنَّ صَبِيغًا الْعِرَاقِيَّ جَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قَدِمَ مِصْرَ، فَبَعَثَ بِهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه إِلَى عُمَرَ بْنِ

---

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

الْخَطَّابِ ﷺ، فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ بِالْكِتَابِ، فَقَرَأَهُ فَقَالَ: أَيْنَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: فِي الرَّحْلِ، قَالَ عُمَرُ: أَبْصِرْ أَنْ يَكُونُ ذَهَبَ فَتُصِيبَكَ مِنِّي بِهِ الْعُقُوبَةُ الْمُوجِعَةُ، فَأَتَاهُ بِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: تَسْأَلُ مُحْدَثَةً، فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى رَطَائِبَ مِنْ جَرِيدٍ، فَضَرَبَهُ بِهَا حَتَّى تَرَكَ ظَهْرَهُ دَبِرَةً، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ، ثُمَّ عَادَ لَهُ، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ، فَدَعَا بِهِ لِيَعُودَ لَهُ، قَالَ: فَقَالَ صَبِيغٌ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ قَتْلِي، فَاقْتُلْنِي قَتْلًا جَمِيلًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُدَاوِيَنِي فَقَدْ وَاللهِ بَرِئْتُ، فَأَذِنَ لَهُ إِلَى أَرْضِهِ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ: أَنْ لَا يُجَالِسَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّجُلِ، فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ: أَنْ قَدْ حَسُنَتْ تَوْبَتُهُ، فَكَتَبَ عُمَرُ: أَنِ ائْذَنْ لِلنَّاسِ بِمُجَالَسَتِهِ"[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَا يَزَالُونَ يَسْأَلُونَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللهُ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ جَاءَنِي نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، هَذَا اللهُ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَصًى بِكَفِّهِ فَرَمَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: قُومُوا قُومُوا، صَدَقَ خَلِيلِي"[(٢)].

وهذا يؤكد على المعنى الذي نحن بصدده، وهو أنه ليس كل ما يُثار من تساؤلات يتم الرد عليها، وإن كنا مطالبين ديانة بأن نبحث عن الاستدلال العقلي نُصرة لدين الله تعالى، وحرصا على إزالة الشبهات والشكوك عند أصحابها.

---

(١) مسند الدرامي، عبد الله بن عبد الرحمن، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، ١٠٣/١، حديث رقم، ١٥٠، تحقيق: مرزوق الزهراني، ط١، د.ن، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، حديث رقم ١٣٥.

المبحث الرابع

القاعدة الرابعة: البناء على رصيد الفطرة وعدم مجاراة الوسوسة

والمقصود بالفطرة الجبلة التي خلق الله الناس عليها، وهي تتصف بالشمول لكل أفراد النوع الإنساني، وأنه لا يمكن أن تتبدل أو تتغير، يقول الله تعالى: (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [(١)].

وهذه القاعدة وثيقة الصلة بالتي قبلها، فإن النبي ﷺ والصحابة ﷺ لم يجيبوا المتسائلين عن: كيف خلق الله، وإنما علمنا ﷺ أن ندفع هذا الخواطر، ونستعيذ بالله تعالى ممن يثيرها من شياطين الإنس والجن، ونقول آمنا بالله.

بيد أن هذا المنهج لن يقنع الملحدين، وإنما سيتلقونه بالسخرية والاستهزاء.

وإنما يجدي هذا المنهج مع من بقيت فطرهم سليمة، ووردت عليها هذه الخواطر التي قد لا يخلو منها أحد، بل ابتُلي بها خير القرون، يقول الله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)

والمنهج القرآني يخاطب هؤلاء وهؤلاء بما يوائم كلا.

---

(١) سورة الروم: ٣٠.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَان"(١).

ومعنى صريح الإيمان هنا يفسره أبو حاتم حيث يقول: رضي الله عنه: "إذا وجد المسلم في قلبه، أو خطر بباله من الأشياء التي لا يحل له النطق بها، من كيفية الباري جل وعلا، أو ما يشبه هذه، فردَّ ذلك على قلبه بالإيمان الصحيح، وترَكَ العزم على شيء منها، كان ردُّه إياها من الإيمان، بل هو من صريح الإيمان، لا أنَّ خطرات مثلها من الإيمان"(٢).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَحَدَنَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ يُعَرِّضُ بِالشَّيْءِ، لَأَنْ يَكُونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ"(٣).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، حديث رقم ١٣٢.

(٢) صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ٣٦٠/١، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الأدب، أبواب النوم، باب في رد الوسوسة، حديث رقم ٥١١٢. وحسنه الشيخ الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، ٣٥٣/١، حديث رقم ٦٥٨، ط٣، المكتب الإسلامي: بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

والشاهد هنا أن النبي ﷺ ردّ الخواطر الواردة عن كيفية الله تعالى، أو مَن خلق الله إلى وساوس الشيطان، ولم يمنح النبي ﷺ جوابا عن تلك الخواطر، وإنما وجهنا في مواطن أخرى أن نرد تلك الخواطر بقول: آمنت بالله، أو بالاستعاذة، وعدم المجاراة في هذه الخواطر بالانشغال بأمر آخر.

ففي الصحيح من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ"[١].

قال الطيبي: "إنما أمر بالاستعاذة بالله، والاشتغال بأمر آخر، ولم يأمر بالتأمل والاحتجاج؛ لأن العلم باستغناء الله جل وعلا عن الموجد أمر ضروري لا يقبل المناظرة، ولأن الاسترسال في الفكر في ذلك لا يزيد المرء إلا حيرة، ومَن هذا حاله فلا علاج له إلا الملجأ إلى الله تعالى والاعتصام به"[٢].

فهنا إشارة إلى أن توجيه النبي ﷺ للصحابة والأمة مبني على قاعدة الإيمان بالله، فمن كان يؤمن بالله تعالى حقا؛ فإن الاستعاذة وقطع خواطر الوسوسة والانشغال بأمر آخر سينفعه، ويدفع عنه.

ولكن من كان شاكا، وفقد قاعدة الإيمان؛ فلن ينفعه هذا، بل هو ذاته مصدر للشبهات والوساوس.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث رقم ٣٢٧٦.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، أحمد بن علي بن حجر ٦/٣٤١، تحقيق العلماء: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، عبد العزيز بن باز، دط، دار المعرفة: بيروت، ١٣٧٩هـ.

ويفرق الإمام المازري بين أصحاب الفطر السليمة وبين أهل الشك والريب فيقول:

"ظاهر الحديث أنه ﷺ أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها، من غير استدلال ولا نظر في إبطالها، قال: والذي يُقال في هذا المعنى أن الخواطر على قسمين: فأما التي ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت؛ فهي التي تُدفع بالإعراض عنها، وعلى هذا يُحمل الحديث، وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة، فكأنه لما كان أمرا طارئا بغير أصل دُفع بغير نظر في دليل؛ إذ لا أصل له يُنظر فيه، وأما الخواطر المستقرة التي أوجبتها الشبهة؛ فإنها لا تُدفع إلا بالاستدلال والنظر في إبطالها، والله أعلم"[١].

قال الخطابي على أن قوله: مَن خلق ربك؟ كلام متهافت، ينقُض آخرُه أولَه؛ لأن الخالق يستحيل أن يكون مخلوقا، ثم لو كان السؤال متجها لاستلزم التسلسل وهو محال، وقد أثبت العقل أن المحدثات مفتقرة إلى مُحدث، فلو كان هو مفتقرا إلى محدث لكان من المحدثات[٢].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، يحيى بن شرف ١٥٥/٢، ط٢، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٣٩٢هـ.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، أحمد بن علي بن حجر ٣٤١/٦، تحقيق العلماء: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، عبد العزيز بن باز، دط، دار المعرفة: بيروت، ١٣٧٩هـ.

وعنه ﷺ أيضا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا: خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ"(١).

وفي المسند: "... " إذا سألكم الناس عن هذا فقولوا: الله كان قبل كل شيء، والله خلق كل شيء، والله كائن بعد كل شيء"(٢).

فالتوجيه النبوي عند ورود هذه الخواطر هو: الاستعاذة بالله، والانتهاء عن مجاراة الشيطان في هذه الخواطر، وقول آمنت بالله.

وهو منهج نبوي كريم، ينبغي الرجوع إليه، حين تكون محاولة الرد تهافتا غير مُجدٍ، يُضعِف الجدل الديني ولا يُقوّيه، ويُثير الشُبَه ولا يدفعها.

أما إذا أمكن الدليل العقلي والمنطقي فهو بلا شك أنجع وأفعلُ إلى جانب رصيد الفطرة، والدليل الشرعي.

رصيد الفطرة السليمة:

يعلمنا القرآن الكريم أن الكافرين والملحدين إنما يتبعون أهواءهم بغير علم فيما ذهبوا إليه من الكفر وإنكار وجود الخالق.

يقول الله تعالى: (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(٣).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، حديث رقم ١٣٤.

(٢) مسند أحمد، ٥٦٠/١٦، حديث رقم ١٠٩٥٧.

(٣) سورة الروم: ٢٩، ٣٠.

وثمّ سر عجيب في تسمية الكافر بهذا الاسم، فإن الكاف والراء في لغة العرب "أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية"[١]، ولا يكون الستر والتغطية إلا لشيء موجود.

فتسمية الباري جل وعلا الكفارَ والمنكرين لوجوده "كفارا" ليست سبا ولا تجريحا، وإنما هي وصف لحالهم في ستر وتغطية وإخفاء مقتضى الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

ويبين لنا سبحانه صورة هذه الفطرة فيقول عز من قائل: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)[٢].

إن حجية الفطرة تبلغ هذا الحد من الإلزام والقوة بحيث لا يبقى معها عذر لمعتذر، وهو يدلنا على قدر المعاناة والعبء الذي يحمله هؤلاء حين ينكرون وجود الله تعالى.

إنهم يسبحون ضد التيار، ويغالبون الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ذلك التطبيق –بلغة العصر– الذي يولد به كل حيّ، ولا يُطمَس أبدا، وإنما يُغَالَب وينتكس.

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس، ١٩١/٥، تحقيق: عبد السلام هارون، دط، دار الفكر: بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

(٢) سورة الأنعام: ١٧٢: ١٧٤.

المبحث الخامس

القاعدة الخامسة: توجه الفطرة إلى الرب عند الاضطرار

يبين لنا الحق سبحانه وتعالى هذه الحقيقة، وهو يخاطب بها المشركين زمن النبي ﷺ، يخاطبهم بما يعلمون من أنفسهم، ويكشف ثوب الزور الذي يتدثرون به.

يقول عز من قائل: (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)(١).

ويقول تعالى: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا)(٢).

---

(١) سورة يونس: ٢١: ٢٣.

(٢) سورة الإسراء: ٦٧: ٦٩.

ف"بعد أن ألزمهم الحجة على حق إلهية الله تعالى بما هو من خصائص صنعه باعترافهم، أعقبه بدليل آخر من أحوالهم المتضمنة إقرارهم بانفراده بالتصرف ثم بالتعجيب من مناقضة أنفسهم عند زوال اضطرارهم"[١].

ونقول لكل ملحد: ألست إذا نزلت بك ضائقة عجزتَ عنها؛ وجدت في نفسك ميلا إلى أن ثمة قوة أكبر منك قادرة على أن تنتشلك مما أنت فيه؟ تلك هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولئن أنكر ذلك الملحدون اليوم؛ فإن العرب قديما لم يجرؤوا على أن يكذبوا الله تعالى فيما حكى من أحوالهم.

ويشير سبحانه إلى رحمته بعباده، حيث يجيب دعوة المضطر، وإن لم يكن مسلما، ذلك حين ينكشف عن الفطرة ركام الجحود والإنكار، ويتوسل العبد إلى من أن يعلم يقينا أنه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه.

يقول تعالى في معرض التعريف بذاته المقدسة لهؤلاء المنكرين: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٢].

وتدل الوقائع والشواهد على أن الله تعالى يجيب المضطر، مسلما كان أو غير مسلم، فإن حال اضطراره وتوجهه مخلصا إلى الله وحده كافية -كما يعلمنا القرآن- في الاستجابة له.

"نشرت مجلة المختار "ريدرز دايجست" في عدد أكتوبر ١٩٤٤م تحت عنوان: ألا تؤمن بالصلاة والدعاء"؟ هذه الحادثة التي صاغتها كما يلي: "...حدث لما

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، ١٥٩/١٥، دط، الدار التونسية: تونس، ١٩٨٤م.

(٢) سورة النمل: ٦٢.

اضطر الماجور "ألن لندبرج" من وستفيلد بولاية نيوجرسي، وهو يقود إحدى القلاع الطائرة للنزول في البحر في طريقه إلى أستراليا، أن ساد الاعتقاد بأنه هو والتسعة الذين معه قد فُقدوا، وفي هذا يقول الماجور: تمكنا من الخروج على طوافين من المطاط، وكدنا لا نفعل، ولم تكن معنا كسرة من خبز، أو قطرة من ماء، وكان رجال الطائرة قلقين، إلا الشاويش ألبرت هرناندز" المدفعي الخلفي، وقد عكف من فوره على الدعاء والابتهال، وسرعان ما راعنا بقوله: إنه يعرف أن الله قد استمع إليه، وأنه سيساعدنا، وظلوا يهيمون تحت شمس مُحرقة، وقد تشققت شفاههم، وورمت ألسنتهم، فعجزوا عن مجاراة "هرناندز" في التهليل والتسبيح، ولكنهم كانوا يدعون مع ذلك، وبعد ثلاثة أيام وقبل دخول الليل لمحوا معالم جزيرة صغيرة، وما لبثوا أن شاهدوا ما لم يكن يجري لهم في خلد، فأقبلت عليهم ثلاثة زوارق فيها رجال عراة الأجساد، واتضح أن منقذيهم من أهل أستراليا الأصليين، وهم صيادون سود الأجسام منفوشو الرؤوس، وقد جاؤوا من داخل البلاد على مسافات مئات الأميال، وقالوا إنهم دُفِعوا بدافع غريب إلى تغيير اتجاههم، فجاؤوا بزوارقهم إلى هذا الشاطئ المرجاني الذي لا سكان فيه، وهناك لمحوا "لندبرج" وزملاءه"(١).

فإن الفطرة إذا تجردت، ودعت بصدق بارئها، كانت الإجابة من أرحم الراحمين، أوليس قد استجاب الباري تعالى دعاء عباد الأوثان؛ فأنجاهم من هياج البحر؟!

---

(١) ألا تؤمن بالصلاة والدعاء، مجلة المختار من ريدرز دايجست، عدد أكتوبر ١٩٤٤م، ص١١٠ وما بعدها.

المبحث السادس

القاعدة السادسة: لفت الانتباه إلى الإبداع في الكائنات

إنه منهج قرآني، يبلغ درجة التحدي واستحثاث الشاكين وأصحاب الأهواء إلى البحث عن خلل في الكون (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ)[١].

ف"لا ترى فيما خلق تفاوتا ينافي آثار الحكمة، ولا يدل على كمال القدرة.. فأنعم النظر، وكرّر السّبر والفكر.. فلن تجد فيها عيباً، ولا في عِزّه قُصورا"[٢].

وقال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[٣].

وقال تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[٤].

وليلحظ القارئ الكريم أن الإعلان الإلهي عن الإبداع في السموات والأرض جاء عقب ذكر دعوى النصارى الولد لله تعالى، ودعوى المشركين الشريك لله

---

(١) سورة الملك: ٣، ٤.

(٢) لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ٣/٦١١، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، دت.

(٣) سورة البقرة: ١١٦، ١١٧.

(٤) سورة الأنعام: ١٠٠، ١٠١.

تعالى واختلاق أبناء وبنات لله تعالى، وهو كذلك حجة على الملحدين الذين يُنكرون الخالق، إذ كيف يتسنى هذا الإبداع المتناهي من غير خالق مُبدع حكيم؟

والآيات اللافتة إلى ظاهرة الإبداع في الكون كثيرة جدا، ومنها:

قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) [١]، ويقول عز من قائل: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) [٢].

"اعلم أن الحكمة العليا لخلق جميع المخلوقات هي أن يتجلى بها الرب الخالق لها بما هو متصف به من صفات الكمال، ليُعرف ويُعبد، ويُشكر ويُحمد، ويَحكم ويجزي فيعدلُ ويغفر، ويعفو ويرحم، إلخ. فهي مظهر أسمائه وصفاته. ومجلى سننه وآياته، وترجمان حمده وشكره، (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)[٣]، لذلك كانت في غاية الإحكام والنظام، الدالين على العلم والحكمة والمشيئة والاختيار، ووحدانية الذات والصفات والأفعال (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) [٤]، (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)"[٥].

---

(١) سورة ق: ٦: ٨.

(٢) سورة السجدة: ٧.

(٣) سورة ق: ٦: ٨.

(٤) سورة النمل: ٨٨.

(٥) تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٣٠٢/٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٩٠م.

إنه "كلما اتسع نطاق العلوم، وانكشفت دقائق الطبيعية وأسرارها، فقدت فلسفة الماديين مكانتها، وهؤلاء أكابر رجال العلم الذين خدموا الإنسانية باكتشافاتهم العلمية أكبر الخدم، من أمثال "نيوتن" و"باستور" وغيرهما من مشاهير الحكماء يعتقدون جميعا ويؤمنون بقوة خالقة مدركة متعالية عن إدراك البشر، أو يعتقدون أن للخلقة سرا لا يُدرك... وهذه الكلمة التي قالها "هرشل" من مشاهير الحكماء في القرن الثامن عشر لَمِن تلك الكلمات التي تتأبد بمر الزمان: "إنه كلما اتسع نطاق العلوم تحققت وكثرت الأدلة على وجود حكمة خالقة قادرة مُطلقة، وعلماء الأرضيات والهيئة والطبيعيات والرياضيات يهيئون بمساعيهم واكتشافاتهم كل ما يلزم لإنشاء معبد العلوم، إعلاء لكلمة الخالق"[(١)].

وعلوم الأحياء والفلك والطب والجيولوجيا والزراعة وعلم الحيوان يسعفنا بما لا حصر له من نماذج الإبداع والإتقان في كون الله تعالى، وفيها زاد للمحاور مع الملحدين للكشف عن الإبداع في الكون، والذي ينفي بغير شك القول بالصدفة الذي يقول به الملحدون.

معجزة الخلية:

يوجد في جسم الإنسان حوالي ١٠٠ مليون خلية، تحتاج إلى التكبير مليون مرة لتُرى، وحين نعاينها نقف على أحداث وتفاصيل يشبهها عالم الجزيئات البيولوجي "مايكل دانتون" بأنها مثل مدينة نيويورك أو لندن بها تكنولوجيا عظيمة وتعقيد يثير الدهشة"

---

(١) الدين والعلم، أحمد عزت باشا، ص١٤.

"يوجد في جسم الإنسان حوالي ١٠٠ مليار خلية، وكل واحدة من هذه الخلايا معقدة تعقيدا مدهشا، ويعرف البروفيسور وعالم الجزيئات البيولوجي "مايكل دانتون" هذا التعقيد على النحو التالي: "حتى يتسنى لنا فهم حقيقة الحياة التي توصلت إليها البيولوجيا الجزيئية يتعين علينا تكبير الخلية مليون مرة، في هذه الحالة تصبح الخلية شبيهة بسفينة فضائية تسع مدينة كبيرة في حجم نيويورك أو لندن، فإذا اقتربنا من الخلية وتأملنا فيها نلاحظ تكنولوجيا عظيمة وتعقيدا يثير دهشتنا"[(١)].

هذه الخلية "تنقسم انقسامات كثيرة؛ لتكون أجزاء الجسم المتنوعة، فيتكون الصلب وهو العظام، كما يتكون الرخو (اللحم)، وأيضا يتكون السائر (الدم)، كما تتكون نصف الصلب (الغضاريف)، هذا الانقسام يحكمه نظام صارم، فإذا خرجت خلية على هذا النظام فإنها تُحدث انقسامات شاذة في الجسم تؤدي إلى الإصابة بالسرطان"[(٢)].

ويوجد بكل خلية محتويات ذات وظائف محددة، ومنها "الكروموسومات"، وعددها ثابت في خلايا كل نوع من أنواع النباتات والحيوانات، ولكنه يختلف من نوع لآخر، فعددها مثلا في الكلب غير الفيل غير الجزر مثلا أو الفول.

وفي كل خلية من خلايا الإنسان ستة وأربعون من الكروموسومات، وعندما تنقسم الخلية فلا بد أن تحتوي الخلية الجديدة على ستة وأربعين كروموسوم، ولو

---

(١) انظر: "مايكل دانتون، Evolution: A Theory in Crisis. London: Burnett Books, 1985, 242.
https://ar.harunyahya.com/ar/

(٢) من عجائب خلق الله في جسم الإنسان، محمد إسماعيل الجاويش، ص١٧٣، دط، الدار الذهبية: القاهرة، دت.

اختل العدد لما أصبح الإنسان إنسانا، إلا الخلايا التناسلية، وهي الحيوان المنوي في الذكر، والبويضة في الأنثى، حيث تنقسم خلاياها إلى ثلاثة وعشرين كروموسوم، وعند اندماج الحيوان المنوي بالبويضة يكتمل العدد ستة وأربعين كروموسوم لتكوين أول خلية في جسم الجنين"[١].

من عجائب الأرض:

"إن الكرة الأرضية كما يقول العلماء قطعة واحدة وزنها ستة مليار تريليون طن، مُعلقة بدون شيء محسوس يمسكها أو يشدها، ومحيطها أربعون ألف كيلو متر، وتدور حول نفسها بسرعة ٢٦ كيلو في الدقيقة، وتدور حول الشمس في مدار طولة ٩٥٠ مليون كيلو متر، بسرعة ٣٠ كيلو في الثانية، وتسير هي والشمس في سرعة خطية بسرعة ٢٣٠ كيلو في الثانية، هذه الحركات الثلاث بانتظام عجيب لا يتخلف، وعلى الأرض جبال ومياه وحيوانات وأناسي، وتبدو كأنها ساكنة هادئة، فمن علقها، ومن يحفظها، ويزعم الملحدون أن هذا الإبداع المطلق لا غاية منه، ولا خالق له.

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)[٢].

إن الشواهد على إبداع الخالق في الكون والنفس وعالم النبات وعالم الحيوان وحتى الجمادات فوق الحصر، وهي مادة مهمة في رسالة الإقناع التي يضطلع بها المحاور مع الملحدين.

---

(١) العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر، ص١١١: ١١٣، ط١٢، دار النفائس: الأردن، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

(٢) سورة فاطر: ٤١.

المبحث السابع

القاعدة السابعة: التكامل بين أجزاء الكون المختلفة

ننتقل من الإشارة إلى إبداع الخالق في الكون، إلى بيان أن الأمر يتجاوز الإبداع في خلق كل شيء على حدته؛ إلى التناغم والتناسق والتكامل بين جميع أجزاء الكون، فلا تخالف بين أجزاء الكون، والمخلوقات المختلفة خلقا وطبعا، وهذا دليل على أن الخالق المبدع المدبر المسير لهذه الكائنات واحد (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)(١).

وفي القرآن إشارات كثيرة إلى تلك الإرادة الواحدة، التي تتعلق بالشيء الواحد فتجعل منه صنوفا متعددة، يقول الله تعالى: (وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)(٢)، "بأسرار أودعها الله تعالى فيها هي موجب تفاضلها" (٣).

نعم "إن بذرة الأجاص (الكمثرى) وبذرة المشمس حين توضعان في التراب تنتج كل واحدة منهما ثمرا يختلف عن الآخر، بلونه، وطعمه ورائحته، مع أنه يسقى بماء واحد ... فكيف كان الجذر يمتص الماء ويصطفى ذرات بعينها ويسوقها إلى الثمر، ويُكوّن العصارة، ويُنشئ الحلاوة"(٤).

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٢) سورة الرعد: ٤.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ١٣/٨٦.

(٤) انظر: الوجود الحق، حسن هويدي، ص٤٦، ٤٧، ط٥، المكتب الإسلامي: بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

ومن الحقائق العلمية المعروفة أن الهواء يتكون من عناصر منها الأكسجين وثاني أُكسيد الكربون، يتنفس الإنسان والحيوان الأكسجين، وينتجان من هذه العملية ثاني أكسيد الكربون، ويتنفس النبات ثاني أكسيد الكربون، وينتج الأكسجين، فانظر إلى هذا التعاون والتكامل بين الإنسان والحيوان والنبات، فالإنسان والحيوان بحاجة للأكسجين الذي ينتجه النبات من عملية التمثيل الضوئي، والنبات يعيش على ثاني أكسيد الكربون الذي ينتجه الإنسان والحيوان خلال عملية التنفس.

فلا الإنسان كان يُدرك هذا، ولا يستطيع أن يتدخل فيه، ولا الحيوان ولا النبات، فأي قوة تشرف على هذا الكون فتدبر أمره بإحكام عجيب، وتناسق مطرد، يحفظ الحياة والأحياء؟!

ولقد أشار القرآن إلى قانون التكامل بين الكائنات فقال عز من قائل: (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ

مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)(١).

وتسير النجوم والكواكب في مدارات بسرعات هائلة دون خلل منذ مئات الملايين من السنين.

قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)(٢).

"هذا النظام المستند إلى حساب يقصُر عقل البشر عن إدراكه، والذين يضمن باستمرار واستقرار المجموعة إزاء ما لا يُعد ولا يحصى من أنواع المخاطر المحتملة، لا يمكن أن يُحمل على التصادف إلا باحتمال واحد في أربعة تريليونات، وهو عدد لا يمكن أن يحصيه المحصي إلا إذا لبث خمسين ألف عام يعد الأرقام ليلا ونهارا على أن يعد في كل دقيقة مائة وخمسين عددا"(٣).

فبالله كيف يستيسغ عقل عاقل أن ينكر وجود القوة المدبرة لهذا النظام المحكم العجيب؟!

---

(١) سورة النمل ٦٠: ٦٥.

(٢) سورة يس ٣٦: ٤٠.

(٣) الدين والعلم، أحمد عزت باشا، ص٢٣.

المبحث الثامن

القاعدة الثامنة: الهداية

هذا القاعدة التي يشير إليها قوله تعالى: (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)[١]، فقد عرف الخالق سبحانه وتعالى بمن أودع في كل حي ما يصلحه ويهديه في أداء وظيفته "كما في قول إبراهيم عليه السلام (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ)، وقول موسى عليه السلام (رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)، وقوله تعالى: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) وذلك أن الإنسان الذي هو أكمل ما على الأرض؛ مُركّب من جسد وروح، فالاستدلال على وجود الخالق وكماله بإيجاد الأجساد وما فيها هو الخلق، والاستدلال عليه بنظام أحوال الأرواح وصلاحها هو الهداية)[٢].

وتظهر دلائل هذه القاعدة في النماذج التالية:

١-إن ثعبان الماء يقطع آلاف الأميال في المحيط، قاصدا الأعماق السحيقة جنوب برمودا، حيث يلتقي ثعابين الماء في كل أنحاء العالم، وهناك تبيض وتموت، أما صغارها التي لا تملك وسيلة تتعرف بها على أي شيء؛ فإنها تعود أدراجها، وتجد طريقها إلى الشاطئ الذي جاءت منه أمهاتها، ومن ثم إلى كل نهر أو بركة صغيرة"[٣]، دون أن تضل طريقها، فلم يحدث أن تم اكتشاف ثعبان

---

(١) سورة طه: ٤٩، ٥٠.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، ١٦٢/١١.

(٣) الهاربون من جحيم الإلحاد، نور الدين أبو لحية، ص٣٣٨، ط١، دار الأنوار للنشر والتوزيع: الجزائر، ١٤٣٨، ٢٠١٧م.

ماء أمريكي في مياه أوروبية أو العكس! فمَن الذي هدى هذه الثعابين الصغيرة لمواطن أمهاتها التي لم ترها؟ حتى تقطع آلاف الأميال دون أن تضل عن وجهتها؟! فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

٢-إن جسم الجمل "مغطى بالوبر الذي يحفظه من الحر والزوابع الرملية، ويمكن أن يغلق أنفه في مواجهة العواصف والأتربة، وعيناه لها رموش كبيرة، كستارة حامية لها من الرمال، ولأقدامه وسائد من اللحم، فلا تغوص في الرمال، وتحميه من سخونتها، وشفراته ذات جلد غليظ، لا تتأذى من نباتات الصحراء الشوكية، ويمكنه أن يخزن الطعام الزائد في سنامه في هيئة شحم، كما يختزن الماء في أجزاء جسمه للاستفادة بها عند الحاجة، وتمكنه رقبته الطويلة من أن يأكل وهو واقف نباتات الصحراء القصيرة، وتبلغ درجة حرارة جسمه أربعين درجة، حتى يتحمل حرارة الصحراء، فيقل عرقه، ويحتفظ بماء جسمه، وتختلف كرات الدم عنده عن كل الكائنات التي تُصاب بالغرق فتموت إذا شربت ماء كثيرا؛ لانفجار كرات الدم البيضاء، أما الجمل فإن كرات الدم لديه تتمدد ولا تنفجر، وهذا ما سوغ للعرب أن يعطشوا الجِمال قبل السفر، ثم يعرضونها على الماء فتشرب كثيرا دون خوف عليها.

يقول العلامة "كنوت شميدت نيلسون" من جامعة ديوك: إن الفضل في احتفاظ الجمل بالماء عن طريق التنفس ومقاومته للعرق راجع إلى أنفه؛ فإن بطانة أنف الجمل الداخلية مجعدة، ولذلك فمساحتها واسعة، وتستطيع أن تمتص رطوبة النفس الخارج، فتمنع خروج الماء الزائد الذي يحمله ذلك الهواء الخارج، أي أن الجمل هو الحيوان الوحيد الذي يستعيد الماء الموجود في تنفسه، وتستطيع هذه التجعيدات أن تخفض حرارة أنفاس الجمل أثناء الليل حوالي ٨

درجات مئوية تحت مستوى حرارة جسمه، بذلك يحتفظ الجمل بالماء... كما يمكنه رفع درجة حرارة جسمه إلى نحو ٤٠ درجة قبل البدء في الابتراد بواسطة العرق، وهذا يحفظ الماء في دمه. وتتفوق القيمة الغذائية للبن الإبل على نظائرها في الأبقار والماعز، ويحتوي على كميات وفيرة من فيتامين (ج) ونسبة عالية من البروتين، بينما تتضاءل نسبة الدهون فيه، وذلك تقدير الرحيم بعباده؛ إذ إن سكان الصحراء ليسوا بحاجة إلى نسبة عالية من الدهون، بينما يحتاجون الفيتامينات والبروتينات، وارتفاع نسبتها في ألبان الإبل يعوض سكان الصحراء، حيث يقل توافر الخضر والفواكه"[1].

فهل خلق الجمل نفسه؟ أم خلقه الإنسان، أم هو القوي القادر، الذي أبدع هذا الكائن العجيب، وقُرن ذكره بالسموات والأرض والجبال؟!

فسبحان الخالق القادر المبدع الحكيم، الذي خلق فسوى، وقدر فهدى.

---

(١) انظر: من عجائب خلق الله في عالم الحيوان، محمد إسماعيل الجاويش، ص١٨: ٢٢، دط، الدار الذهبية: القاهرة، دت.

المبحث التاسع

القاعدة التاسعة: استخدام المنهج العقلي

تظهر لنا هذه القاعدة من خلال قوله تعالى: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ)(١).

وهذا الدليل العقلي يعالج ادعاء الملحدين أن "القوة والمادة أو الأثير الذي تكتسبان منه الوجود أزلي، وأن المادة والقوة تدخلان في أوضاع وتركبات لا يحصرها الحد منذ الأزل مصادفة، وهذه الأشكال والتركبات تظل مدة طويلة لا تشبه شيئا، ثم تتصادم مع غيرها فتتبدد، ثم تتجمع، بيد أنه قد تتولد خلال الأوضاع والتركبات بعضُ علاقات ندعوها قانونا طبيعيا، وكلما حصلت تلك القوانين تطورت الأشكال بتأثيرها، وبلغت حالة مستقرة، وعلى هذا النحو تظهر الموجودات والحادثات في العالم"(٢).

ويبقى السؤال المنطقي -مع فرض التنزل مع الملحدين- من يُحرك هذه القوة وتلك المادة؟ فسيقولون: الصدفة والاتفاق!!!

فيا لله كيف يتحمل هؤلاء القوم هذا الهراء، ويتبجحون بتسميته علما، أو نظرية!

هل يمكن أن يتخيل عاقل أن هذا الوجود الهائل، المشحون بما لا حصر له من المخلوقات، ولكل نوع مسارات بيولوجية خاصة، لا يشركها فيه غيرها من

---

(١) سورة الطور: ٣٥، ٣٦.

(٢) الدين والعلم، أحمد عزت باشا، ص٢٩.

الكائنات، وإن تشابهت جزئيا فإن لكل منها شريطها الوراثي الخاص الذي يحمل خصائصها الدقيقة، وتميزها عما سواها.

إن الشريط الوراثي للإنسان مكون من ستة مليارات حرف مخزنة في حيز لا يمكن رؤيته بالميكروسكوبات الضوئية، وتم لفه بطريقة بالغة الذكاء بحيث يمكن قراءة جميع التعليمات المكتوبة عليه بشكل مباشر ودون لبس، بنفس الطريقة التي يستخدمها الحاسوب الرقمي لتخزين مختلف أنواع المعلومات، ولقد قال أحد مكتشفي الشريط الوراثي "فرانسيس كريك": "إن الرجل الأمين المسلح بكل المعرفة المتاحة لنا الآن لا يستطيع أن يقول أكثر من أن نشأة الحياة تبدو شيئا أقرب ما يكون إلى المعجزة"(١).

ويريد الملحدون أن نعتقد أن الأمر مصادفة، وأنه لا خالق مبدع وراء هذا الإعجاز في الخلق!

---

(١) الشيفرة الوراثية سر الحياة الأعظم، منصور العبادي أبو شريعة.
https://quran-m.com/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D9%81%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%AB%D9%8A%D8%A9-%D8%B3%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B9%D8%B8%D9%85/

المبحث العاشر

القاعدة العاشرة: التعريف بالخالق

وتنبني هذه القاعدة كذلك على رصيد الفطرة المذخور في نفس كل حي.

يقول الله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ)(١).

لقد كانت بضاعته ﷺ في أوليات الدعوة أن يبلغ كلام الله، وكان القرآن وحده حجة على من يسمعه.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ فَقَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي"(٢).

وإنما أسلم سيدا بني عبد الأشهل "سعد بن معاذ وأسيد بن حضير" بمجرد أن قرأ عليهم "مصعب بن عمير" ﷺ القرآن الكريم، وقد كانوا غضبوا أشد الغضب لدخوله حيَّهم؛ ودعوته الناس إلى الإسلام بصحبة "أسعد بن زرارة" ابن خالة سعد بن معاذ.

فمع غضبهم، وحرصهم على منعه مما يفعل؛ ما إن سمعوا كلام الله تعالى – واحدا تلو الآخر– حتى تهللت وجوههما وقالا: "ما أحسن هذا الكلام وأجمله!

---

(١) سورة التوبة: ١٠.

(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القرآن، حديث رقم ٤٧١٩.

كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين"؟! فكان دخول هذين السيدين العظيمين بالمعرفة البسيطة بدين الإسلام، وسماع كلام رب العالمين"[١].

ولقد قام الشيخ ناصر القطامي، وهو من الأئمة وقراء القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية بعمل تجربة مع أحد الخبراء الكبار بشركات البنوك في المملكة، وهو رجل ألماني، فأولا: وجه إليه كلاما عاديا في صورة الكلام العادي، وثانيا: قرأ عليه كلاما عاديا ولكن بصورة مرتلة كهيئة قراءة القرآن، وثالثا: قرأ عليه آيات من سورة الأنعام مرتلة، ثم سأله عن الفرق بين الأمور الثلاثة، فقال: الكلام الأخير لمس قلبي أكثر"[٢].

ونحن على يقين من أن لكلام رب العالمين جاذبية تلتقطها الفطر السليمة، والأنفس النقية، والقلوب التي سلمت من صدأ الشرك.

ويكفينا قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

وعليه فإن التذكير بتعريف الخالق جل وعلا بذاته المقدسة في القرآن الكريم؛ من الأدوات الناجعة في مواجهة الإلحاد، وكبح جماحه في النفوس، وهي كثيرة في كتاب الله تعالى، ومنها:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ١/٤٣٦، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، ط٢، مطبعة الحلبي: مصر، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.

(٢) https://www.youtube.com/watch?v=ZqVbGVuHv_g

(٣) سورة الحشر: ٢١.

١-(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)(١).

٢-إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ)(٢).

٣- (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٣).

وينبغي أن تُربى الناشئة المسلمة على هذا التعليم الإلهي في مناهج التربية، ووسائل الإعلام؛ فإنه يعزز الفطرة، ويقوي الإيمان بالله تعالى، ويقف حجر عثرة في وجه الإلحاد.

---

(١) سورة الأعراف: ٥٤.

(٢) سورة يونس: ٣: ٦.

(٣) سورة الحشر ٢٢: ٢٤.

إن كثيرا من المسلمين لا صلة لهم بكتاب الله تعالى، يسمعونه عرضا في وسائل المواصلات، أو من منائر المساجد، أو يضعونه للحفظ في السيارات، أو خوفا من الكوابيس عند الوسائد.

وإذا كانت الكلمة البليغة الموجهة قادرة على أن تغير الاتجاه والسلوك؛ فإنه لا أبلغ ولا أعظم من كلام رب العالمين.

الخاتمة:

تبين لنا فيما سبق أن منهجية القرآن الكريم في الحوار مع الإلحاد تتمثل في ثبات الداعي وثقته بنفسه وبمنهجه، وعدم القصد إلى الإجابة عن كل سؤال، وأن يبني في حواره على رصيد الفطرة في نفس الملحد، والإشارة إلى لجوء الفطرة إلى بارئها عند الاضطرار، ولفت الانتباه إلى الإبداع والتكامل في الكون، وإلى ظاهرة الهداية التي فطر الله عليها الكائنات، ثم التعريف بالخالق جل وعلا.

ولا ريب أن إحدى هذه السهام سوف تصيب أحد مقاتل الإلحاد، أو ستبذر في نفسه بذرة خير يُرجى ثمرها ولو بعد حين.

أهم النتائج:

اشتمل البحث على النتائج التالية:

١- الثبات إحدى القواعد المهمة التي حرص القرآن على غرسها في نفس المحاور المسلم.

٢- ثقة الداعي في نفسه ومنهجه من قواعد الحوار مع الإلحاد

٣- عدمُ الرد على كل سؤال منهجٌ نبوي.

٤-البناء على رصيد الفطرة وعدم مجاراة الوسوسة

٥-بيان توجه الفطرة إلى الرب عند الاضطرار من قواعد منهج القرآن والسنة في حوار الإلحاد.

٦- لفت الانتباه إلى الإبداع في الكائنات من قواعد منهج القرآن والسنة في حوار الإلحاد.

٧-التكامل بين أجزاء الكون المختلفة من قواعد منهج القرآن والسنة في حوار الإلحاد.

٨- ظاهرة الهداية في المخلوقات من قواعد منهج القرآن والسنة في حوار الإلحاد.

٩- استخدام المنهج العقلي من قواعد منهج القرآن والسنة في حوار الإلحاد.

١٠- التعريف بالخالق من قواعد منهج القرآن والسنة في حوار الإلحاد.

أهم التوصيات:

أوصي الباحثين بالدراسة التفصيلية التحليلية لمنهجية القرآن والسنة في حوار الإلحاد.

أهم المصادر والمراجع

١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، دط، دار الفكر: بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، دط، الدار التونسية: تونس، ١٩٨٤م.

٣) التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٤) تفسير البحر المحيط، أبو حيان، محمد بن يوسف، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٥) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٩٠م.

٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي سلامة، ط٢، دار طيبة: القاهرة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٧) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٩٠م.

٨) تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر، تحقيق: محمد أبو النيل، ط١، دار الفكر: مصر، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٩) الدين والعلم، أحمد عزت باشا، ترجمة: حمزة طاهر، عبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر: القاهرة، ١٣٦٧هـ، ١٩٤٨م.

١٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط١، مكتبة المعارف: الرياض، ١٤١٥: ١٤٢٢/ ١٩٩٥/٢٠٠٢م.

١١) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، ط٢، مطبعة الحلبي: مصر، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.

١٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، تحقيق: حسين العمري وزميليه، ط١، دار الفكر: بيروت، دمشق، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عطار، ط٤، دار العلم للملايين: بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٤) صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

١٥) ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، ط٣، المكتب الإسلامي: بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٦) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، ط٥، مكتبة مصطفى الحلبي: القاهرة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٠م.

١٧) العقائد الإسلامية، سيد سابق، دط، دار الكتاب العربي: بيروت، دت.

١٨) العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر، ط١٢، دار النفائس: الأردن، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

١٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن حجر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، عبد العزيز بن باز، دط، دار المعرفة: بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٠) الفروق اللغوية، العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، تحقيق: محمد سليم، دط، دار العلم والثقافة: القاهرة، دت.

٢١) لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، دت.

٢٢) مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٢٣) مسند الدرامي، عبد الله بن عبد الرحمن، حديث رقم، ١٥٠، تحقيق: مرزوق الزهراني، ط١، د.ن، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

٢٤) المعجم الأوسط للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، تحقيق: طارق عوض الله، عبد المحسن الحسيني، دط، دار الحرمين: القاهرة، دت.

٢٥) مقاييس اللغة لابن فارس، ٥/١٩٠.

٢٦) مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دط، اتحاد العرب: بيروت، ١٤٢٣هن ٢٠٠٢م.

٢٧) مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دط، دار الفكر: بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢٨) من عجائب خلق الله في جسم الإنسان، محمد إسماعيل الجاويش، دط، الدار الذهبية: القاهرة، دت.

٢٩) من عجائب خلق الله في عالم الحيوان، محمد إسماعيل الجاويش، دط، الدار الذهبية: القاهرة، دت.

٣٠) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، يحيى بن شرف، ط٢، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٣٩٢هـ.

٣١) النكت والعيون للماوردي، علي بن محمد بن محمد، تحقيق: السيد عبد المقصود، دط، دار الكتب العلمية: بيروت، دت.

٣٢) الوجود الحق، حسن هويدي، ط٥، المكتب الإسلامي: بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

فهرس الموضوعات